(المفسدين في الأرض)

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، لاإله غيره ولامعبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله القائل :

(لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَلَيَسُومُنَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ)

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

عباد الله : كل ماء فى السماء من الأرض فإذا ارتفعت درجة حرارة الأرض كثرت الأمطار...والبشر يتفاوتون ما بين الإنتفاع بالمطر وما بين عدم الإنتفاع به قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأبْصَارِ...) .

• ومن المعلوم أن نزول المطر يتم وفق سنن كونية تكاد تكون ثابتة إلا أن علماء الأرصاد الجوية لاحظوا تغييرات في الكون تحدث سريعة هذه السنوات ، فقد حدث ارتفاع كبير في درجات الحرارة ، وأمطار غزيرة في غير وقتها وفى غير مكانها ، وفيضانات وضحايا ... فلما بحثوا وجدوا أن سبب هذا يرجع إلى استخدام الإنسان للصناعات الكيماويات منذ بدء الثورة الصناعية من 150 سنة وحتى اليوم مما أدى إلى تآكل طبقة الأوزون التى تحمى الأرض من تسرب الأشعة ، فالكون ملئ بالغبار الكونى والدخان الناتج عن انفجارات النجوم وتوجد مكانس عملاقة تشفط هذا الدخان والغبار الكونى تماما كالمكنسة أطلقت عليها ناسا الثقوب السوداء وهي نوع من أنواع النجوم تجرى فى السماء فتنظفها ، فالجوار الكنس أكبر بعشرين مرة من الشمس وهى كمكنسة كونية عملاقة وبسبب أنها لا ترى فيصفها ربنا بقوله : (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) فتآكل طبقة الأوزون يطلق عليه الإنحباس الحراري الذى حذر العلماء من نتائجه فقالوا : سيسبب ارتفاعا فى درجات الحرارة وهذا الإرتفاع سيذيب الجليد...وسيؤدي إلى ارتفاع مستوى سطح البحر فتغرق الجزر المنخفضة والمدن الساحلية ، فالأعاصير التى حدثت هذه الأيام فى نيويورك وفى غيرها من الولايات وما يحدث فى العالم اليوم ومن قبل من جفاف للأرض وتصحر ، وحرائق للغابات هي بسبب الإنحباس الحراري...الذى أدى إلى تآكل طبقة الأوزون التى تحمى الغلاف الجوي من تسرب الأشعة إلى الأرض ، وهذا فساد من الإنسان فى البر والبحر قال تعالى : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ومن العجيب أن هذه الآية ذكرت فى سورة الروم...وقد حدث الفساد من الروم .

• وهناك إفساد آخر وهو أن البشر حاربوا اللهَ يومَ أن أشركوا معه إلها آخر وزعموا بأن له ابنا ، حاربوا اللهَ يوم أن أباحوا الإختلاط في الجيش وفى الوظائفِ العامة ، حاربوا اللهَ يومَ أن أباحوا زواج المِثلين وأباحوا الإجهاض ، حاربوا اللهَ يومَ أن سمحوا للعرايا السير فى تجمعات تحميهم الشرطة ، حاربوا اللهَ يومَ أن سمحوا لبعض المطاعم عدم دخولها إلا عرايا كما ولدتهم أمهاتهم ، حاربوا اللهَ يومَ أن أقاموا تحالفات دولية للسطو على حقوق الشعوب وممتلكاتهم .

• وإن من سنن الله مع الطغاة أنه إذا استشرى طغيانهم واستكبروا على الله وعلى عباد الله أرسل الله عليهم من وسائل الهلاك والدمار ما لايخطر لهم على بالهم...فليس بالضرورة أن يرسل عليهم جيوشا وأساطيل ، فجنود الله كثيرة فالجوع والأمراض والأوجاع والطيور والحشرات وغيرها جنود من جنود الله فما يعلم جنود ربك إلا هو...تلك هي سنة الله فى الطغاة الظالمين ، ومن رحمة الله بخلقه أنه يُمهلهم وقتا لِيُرَاجِعُوا أنفسهم ويتوبوا مع نزول بعض العذاب لِيُذكِرَهم به قال تعالى : (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) هذا بعض العذاب...أما إذا قابل ظلمهم بمثله ما ترك على ظهر الأرض من دابة قال تعالى : (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) فالأجل المسمى سيأتى فجأه كما قال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) فإذا تضرعوا وتابوا إلى الله رفع عنهم العذاب ولكن قست قلوبهم فكان هذا جزاؤهم قال تعالى : (فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وإليكم نماذج من جنود الله التى أرسلها الله على الظالمين وعنده الكثير

1 – فهذا أبرهة الذي قاده استكبارُه إلى مكة ليهدم بيت الله الحرام فى جيش عظيم تتقدمه الفيلة العظيمة التي جاء بها ، وعندما وصل إلى مكة أراه الله آية من الفيلة كانوا إذا وجهوها إلى الكعبة بركت...فإذا وجهوها إلى جهة أخرى أسرعت فلما لم يعتبر أهلكه الله ولكن بماذا ؟ هل أرسل عليه جنداً من باطن الأرض ؟ أو أنزل عليه فيلة من السماء لتتغلب على فيله ؟ لا...وإنما أرسل عليه طيورا صغيرة جداً من جهة البحر ملأت الأفق الذي أمامه...تحمل في مناقيرها وبين أظافرها حصاً صغيرة كل حجر مكتوب عليه اسم من سيقتل به...ما تصيب الحصا منهم واحداً إلا مزقته وتناثر لحمه ، وعاد أبرهة مسرعاً فاراً إلى بلده ولكنه لم يصل فقد تناثر جسمه وحاق به الهلاك ، وقد خَلَّدَ الله هذه الحادثة بين آياته لتكون عبرة لجميع الطغاة بقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) .

2 – وهذا ذو نواس وهو آخر ملوك حِميَر من أرض اليمن الذى أجبر نصارى اليمن على اعتناق اليهودية ، فلما عارضه الكثير منهم وأصروا على عقيدتهم حفر لهم خنادق ثم ملأها بالحطب ثم أشعل فيهم النّار ، ولقد بلغ عدد من قُتل وحُرق بالنّار عشرون ألفا ولما جاء ميقات الله المعلوم لهلاكه لم يواجه الله طغيانه بجيش بل أرسل عليه وعلى جنده وباء ، فلما رأى الوباء يطوف به وبجنده اتجه إلى البحر ظنا منه أن هواء البحر فيه منجاة من هذا الوباء ولكن البحر استقبله ليختنق فيه...قال تعالى :

(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ)

3 – وهذا فرعون الذي كان يقول أنا ربكم الأعلى والذى استكبر على الرسالة التي حملها إليه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ولما طال به الإستكبار أرادَ اللهُ أن يخوفه وأن يخوف قومه لعلهم يرجعون فأخذهم بالسنين ثم أرسلَ عليهم الطُّوفانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ قال تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) فهل تابوا ورجعوا إلى ربهم ؟ كلا... بل اتهموه بالسحر فقالوا كما أخبرنا ربنا : (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) فيقول ربنا : (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) ومع كل آية يقولون : (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَاعَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فيقول ربنا : (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ)

4 - النمرود بن كنعان...هذا النمرود التي قضت محكمته بإحراق سيدنا إبراهيم عليه السلام بالنار ، وجريمة سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه حطم الأصنام ، فقضت محكمة النمرود بإحراق إبراهيم في النار...حيث بنى صرحاً طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعاً ، وظلوا يجمعون الحطب شهراً ، ثم أوقدوا النار حتى اشتعلت واشتدت ، ثم قيدوا إبراهيم ووضعوه في المنجنيق ولكن محكمة الله نطقت قائلة : (يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ) ثم إن محكمة الله قضت بأن يتم هلاك النمرود ببعوضة...نعم بعوضة دخلت أنفه فكان يعاني آلاما ومعاناة شديدة ولا يهدأ إلا بضربه على رأسه بالنعال أو بما شابه ذلك وإن هي إلا أيام حتى قضى نحبه...

5 - ولقد قص اللهُ فى القرآن الكريم مافعلَ ببعض القرى التى تنكرت لشرع الله فقال تعالى :

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)

• فسبأ من ملوك اليمن من 5000 آلاف عام قبل الميلاد وهو جد العرب القحطانيين الذين هم أكثر العرب اليوم وهو من سلالة هود عليه السلام ، وكان لهم سدٌ عظيمٌ يملأهُ اللهُ كل سنةٍ بالماء ، أنبتَ الله لهم به جميع أنوعَ الثمار جنتان عن يمينٍ وشمال ، فكان لكل رجل في سبأ بستان على اليمين وبستان على الشمال ، ذكرَ المفسرونَ أن النخلةُ كانت تثمر في السنةِ مرتين ، وجعل اللهُ عليهم الغمام يظللهم من الشمسَ ، وكانت المرأةُ تحملُ الإناءَ وتمرُ من تحتِ الشجر المثمر فيمتلئُ من كثرةِ ما يتساقطُ فيه...كان كلُ شيءٍ من النعم تحت أيديهم ، فهل قابلوا هذه النعم بالإيمان والشكر ؟ لا...لم يؤمنوا ولم يشكروا نعم الله قال تعالى : (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) فهل أرسلَ عليهم جيشا من السماء ؟ لا...فهم أقلُ وأذلُ من ذلك...أرسل عليهم فأرة نخرتِ سدَهم ، وفي الصباح إنهار السدُ...فاجتاحَ الماءُ الهائج بالأمواج التى كالجبال مزارعَهم وبيوتَهم وأشجارَهم فهربوا إلى رءوس الجبال وظلوا يبكونَ ثم زادهم الله حسرة فاستبدل الأشجار المثمرة بأشجار الشوك وغيرها قال تعالى : (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) فالخمط هو كل شجر ذي شوك فيه مرارة ، والأثل شجر الخشب ، والسدر : النبق ، وقال قتادة : بينما شجر القوم من خير شجر إذ صيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثمرة وأنبت مكانها الأراك والخشب والسدر...

• ثم يقص الله علينا نعمة أخرى أنعمها عليهم فيقول تعالى : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ) يَذْكُر تَعَالَى مَا كَانُوا فِيهِ مِن النِّعْمَة وَالْقُرَى الْمُتَوَاصِلَة بَعْضهَا مِنْ بَعْض مَعَ كَثْرَة أَشْجَارهَا وَزُرُوعهَا وَثِمَارهَا بِحَيْثُ إِنَّ مُسَافِرهمْ لَايَحْتَاج إِلَى حَمْل زَادَ وَلَا مَاء فَحَيْثُ نَزَلَ وَجَدَ مَاء وَثَمَرًا ، وَيُقِيل فِي قَرْيَة وَيَبِيت فِي أُخْرَى أَيْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مِنْ الْيَمَن إِلَى الشَّام فِي قُرًى ظَاهِرَة مُتَوَاصِلَة فهل شكروا الله ؟ لم يشكروه وطلبوا المعاناة فقالوا كما قال الله تعالى : (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) فمزق الله بلادهم وجعلها بعيدة عن بعضها بحيث لا يأمن أحد على نفسه فى مقام أو سفر ، وأصبحوا حديث الناس فى كل مكان...

بمثل هذه العقوبات يجازى الله بها كل من تنكر لشرع الله...فما يعلم جنود ربك إلا هو...

• فكما قلنا من قبل : ليس فى التاريخ صفحة جديدة فهي صفحات متكررة بأساليب مختلفة ، فالذين يظنون أنهم بقوتهم يستطيعون فرض هيمنتهم على الضعفاء فعليهم أن يعلموا بأن ربهم لهم بالمرصاد ، وعليهم أن يذكروا ما كانوا فيه من نعم...ثم بسبب مكرهم أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون كما قال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) .

• فعلى الإنسان أن يشكر ربه بسخاء ليزيده ربه بسخاء...فالجزاء من جنس العمل قال تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) .

والشكر يا عباد الله ليس بالكلام بل بالعمل قال تعالى : (إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .

يقول العلماء : إن هذه السحب غير صالحة لإنزال المطر أو لإنزال البرد وإنما توضع فوق بعضها لتشكل ما يسميه العلماء السحب الركامية ، وهذه السحب الركامية يبلغ ارتفاعها 10 كم أو أكثر أحياناً ، يعني هي تضاهي تماماً ارتفاع الجبال ، ونحن نعلم بأن أعلى قمة على سطح الأرض هي قمة إيفرست في جبال الهملايا وترتفع ثمانية آلاف وثمانمائة متراً عن سطح البحر...